محمد ﷺ ، ولهذا نزّه محمداً هناك أن يكون شاعراً أو كاهناً ، ونزّه هنا الرسول إليه أن يكون من الشياطين .

* * *

فصل

فى حقيقة مذهب الوحدة التى لا يفهمها أكثر منتحليه

اعلم - هداك اللّه وأرشدك - أنّ تصور مذهب هؤلاء كاف فى بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر ، وإنما تقع الشُبهة لأنّ أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ، لما فيه من الألفاظ المجمَلة والمشتركة ، بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً فى قولهم ، وإنما يتخيلون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه ، ولهذا قد افترقوا بينهم على فِرق ، ولا يهتدون إلى التمييز بين فِرقهم ، مع استشعارهم أنهم مفترقون ، ولهذا لما بيّنتُ لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم ، وسر مذهبهم ، صاروا يُعظّمون ذلك ، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلونى من أئمتهم ، وبذلوا لى من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف ، كما تبذله النصارى لرؤسائهم ، والإسماعيلية [1] لكبرائهم ، وكما بذل آل فرعون لفرعون .

وكل مَن يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين ، إما جاهل بحقيقة أمرهم ، وإما ظالم يريد علواً فى الأرض وفساداً ، أو جامع بين الوصفين ، وهذه حال أتباع فرعون الذين قال اللّه فيهم : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [2] ، وحال القرامطة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين فى أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾ ... إلى آخر الآية [3] وقوله : ﴿ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ [4] ، وقال تعالى :

---

(١) للتعريف بالإسماعيليين انظر جـ ١ هامش ص ٧٥ ، ١٧٢ (البلتاجى) .

(٢) الزخرف : ٥٤ (٣) الأحزاب : ٦٤ (٤) الأحزاب : ٦٨

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) .

* * *

فصل

فى حقيقة قولهم : « إنَّ وجود الكائنات هو عين وجود اللّه »

اعلم أنَّ حقيقة قول هؤلاء : إنَّ وجود الكائنات هو عين وجود اللّه تعالى ليس وجودها غيره ولا شئ سواه ألبتة ، ولهذا مَن سماهم حلولية - أو قال : هم قائلون بالحلول - رأوه محجوباً عن معرفة قولهم خارجاً عن الدخول إلى باطن أمرهم ، لأنَّ مَن قال : إنَّ اللّه يحل فى المخلوقات فقد قال : بأنَّ المحل غير الحال ، وهذا تثنية عندهم وإثبات لموجودين - أحدهما : وجود الحق الحال ، والثانى : وجود المخلوق المحل - وهم لا يقرون بإثبات وجودين ألبتة ، ولا ريب أنَّ هذا القول أقل كفراً من قولهم ، وهو قول كثير من الجهمية (٢) الذين كان السَلَف يردون قولهم ، وهم الذين يزعمون أنَّ اللّه بذاته فى كل مكان . وقد ذكره جماعات من الأئمة والسَلَف عن الجهمية وكفَّروهم به ، بل جعلهم خلق من الأئمة - كابن المبارك ويوسف بن إسباط وطائفة من أهل العلم والحديث من أصحاب أحمد وغيره - خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة . وهو قول بعض متكلمة الجهمية وكثير من متعبديهم . ولا ريب أنَّ إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لإلحاد هذه الجهمية الأولى وتجهمها وزندقتها .

وأما وجه تسميتهم « اتحادية » ففيه طريقان - أحدهما : لا يرضونه لأنَّ الاتحاد على وزن الاقتران ، والاقتران يقتضى شيئين اتحد أحدهما بالآخر ، وهم

---

(١) البقرة : ١٦٥ - ١٦٧

(٢) للتعريف بالجهمية انظر جـ ١ هامش ص ١١٧ ، وجـ ٣ هامش ص ١٢ ، ٢٨ (البلتاجى)